

حقيقة الألوهية

..... يقول: إذا فهمت ذلك فَتَأَمَّلِ الألوهية، التي أثبتها الله - تعالى- لنفسه. تأمل الألوهية. اعلم أن الألوهية: هي التأله الذي هو التعبد. وأن الله-تعالى- نفاها عن كل ما سواه، نفاها عن محمد وغيره من الأنبياء، ونفاها عن جبريل وغيره من الملائكة، وأخبر بأنهم جميعا ليس لهم منها مثقال حبة من خردل؛ بل كلها لله وحده، يعم ذلك جميع أنواع الألوهية. إذا عرفنا أن الإله: هو الذي تأله القلوب. تأله القلوب.. محبة، وعبادة، وخضوعا، وإنابة. وأن هذا هو حَقَّا تعريف العبادة التي هي مُشْتَقَّةٌ من التعبد، والتي دَكَرَ معناها ابن القيم -رحمه الله- في النونية بقوله: وعبادةُ الرحمن عَايَةُ حُبِّهِ مع دُلِّ عابده هما قُطْبَانِ وعليهما فلك العبادة دائرٌ ما دار حتى قامت القطبان ومداره بالأمر أمر رسوله لا بالهوى، والنفوس، والشيطان هذه هي العبادة، وهي الألوهية. الإله: هو الذي تأله القلوب.. محبة، وخوفا، وخضوعا. ويفسرون العبادة بأنها: غاية الحب مع غاية الذل. أن يكون محبا لله تعالى، ومتذلا بين يديه. غاية الحب مع غاية الذل. فإذا تخلف واحد منهما تخلف وَصْفُ الألوهية، فالذين يتعبدون؛ ولكنهم لا يحبون معبودهم، يعني: يكرهونه، لا يُوصَفُونَ بأنهم جعلوه إلهًا، ولا أن أفعالهم عبادة؛ وذلك لتخلف أثره -أثر العبادة- الذي هو الحب، الذي يدفعهم إليه إحسانه، وإنعامه، وَقِصْلُهُ على عباده. وإذا تخلفت العبادة، وادعى الحب، لم يكن الحب صحيحا. فالذين يحبون الله؛ ولكن لا يتواضعون له، ولا يتضرعون، ولا يخشعون بين يديه، ولا يدعونه، ولا يرجونه، ولا يعتمدون عليه، ولا يركعون له، ولا يسجدون له!! هؤلاء ليسوا -أيضا- ممن اتخذوا إلهًا. فالتأله: هو التَّحَبُّبُ، والتودد، والتواضع، والتذلل، والإنابة، والخضوع، والخشوع، وما أشبه ذلك؛ لذلك يصدق عليهم أنهم اتخذوا الله -تعالى- إلهًا، فمن صرف من هذه الأنواع شيئا لغير الله فقد أشرك، أشرك بالله؛ ولو شيئا يسيرا، لا يملكون من الإلهية مثقال حبة من خردل. الخردل: شجر معروف كبير، وحبه أصغر من حَبِّ الدخن، معروف؛ فَيَمْتَلُ اللهُ - تعالى - بها -حبية الخردل- قال تعالى: { وَإِنْ كَانَ مِنْقَالٌ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } وقال تعالى: { وَتَصْعُقُ الْمُؤَاذِبِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِنْقَالٌ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ } . فمعنى ذلك: أَنَّ كل من سوى الله من الآلهة -التي تسمى آلهة- لا يصلح أن يُصْرَفَ لهم شيءٌ من الإلهية؛ ولو شيئا يسيرا؛ ولو كانوا ما كانوا؛ ولو كانوا أنبياء، وُرُسَلًا، وملائكة، وأولياء، ونحوهم؛ وذلك إشارة إلى أن هناك من جعل مع الله آلهة أخرى، قد يكونون أَقَلَّ من الأنبياء، وَأَنْزَلَ قَدْرًا منهم.